

تقديم

حدد لوسيان غولدمان طبيعة العلاقة بين البيئة الاجتماعية والإبداع الأدبي، فهي قائمة على أساس التماثل الموجود بين النص الأدبي وعلاقته بالبنى الذهنية لطبقة اجتماعية، فالبنى الذهنية ليست ظواهر فردية بل ظواهر جماعية، ومن هذا المنطلق نجد أن **البنيوية التكوينية** تعيد الاعتبار للظروف الاجتماعية والثقافية والتاريخية للمبدع، بحيث أنها لا تعزل النص عن بيئته، ولا تغيب الخصوصية الأدبية للمبدع وأدبه رغم اهتمامها بالسياقات الخارجية، وبهذا استطاعت تحقيق وحدة بين الشكل والمضمون، بين حكم القيمة وحكم الواقع، بين التفسير والفهم، بين الغائية والحتمية.

الأسس

" البنيوية التكوينية كما هو شأن جميع المناهج النقدية على مجموعة من المفاهيم والمرتكزات الأساسية، وأهمها :

1- البنية الدلالية *la structure significative* :

وهو المفهوم الأول في كل تحليل بنيوي تكويني، وتعد مقولة **البنية الدلالية** مقولة أساسية تفضي بالدارس إلى الإمساك **برؤية العالم** ، ذلك أن هذه البنية تنطلق من التصور الجمعي لمفهوم الرؤية ، **البنية الدلالية** هي تلك المقولة التي تخترق كيان النص باعتبارها رؤية يصوغها النص بشكل جدلي وهي البنية التي يصادفها الباحث أولاً ، فتمنحه بطابعها الشمولي فهما أعمق للخلفية الإيديولوجية، والفكرية للمجتمع أو الفئة الاجتماعية المعبر عنها.

إن ما يجعل مقولة **البنية الدلالية** في مقدمة مقولات **البنيوية التكوينية** إنها تقودنا أولاً إلى فهم دلالة الأعمال الأدبية ، وثانياً تمكنا من اختبار جدوى تحليلنا أي أنها تمنحنا معياراً نقيس به مدى نجاعة ذلك التحليل الذي قمنا به، من حيث دلالاته الفلسفية، والإبداعية ، والجمالية التي أتاحتها هذه البنية ، ومدى أصالتها في التعبير عن **رؤية العالم** .

2- الفهم والتفسير : *la compréhension et l'explication* :

يعد **الفهم والتفسير** مفهومي إجرائيين مترابطين ومنفصلين في آن واحد ، يشغل الأول على المستوى الداخلي للنص، والآخر على المستوى الخارجي. علينا أن نؤكد قبل شرح هذه النقطة بأن خطوتي الفهم والتفسير في **البنيوية التكوينية** وإن كانتا

مختلفتين وظيفيا في الدور الذي تقوم به كل منهما في التحليل النصي، فإنهما تمثلان مقولة واحدة ضمن هذا المنهج، وإنهما مصطلحان متكاملان في نظرية غولدمان.

* **الفهم** : يتأطر المفهوم الإجرائي (**الفهم**) بالإطار الداخلي للنص ، وحسب غولدمان ف "إن الفهم قضية تتعلق بالانسجام الداخلي للنص ، وهو ما يفترض أن نتعامل حرفيا مع النص كل النص ولا شيء غير النص، وهو البحث داخل النص عن البنية الدلالية الشاملة" ، أي أن الفهم هو إجراء ينظر إلى النص الأدبي بعزل عن كل معطى خارجي ، ويتوجه أساسا إلى الكشف وتوضيح بنائه الداخلي أو بنيته الدالة.

* **التفسير** : فهو عملية ثانية تنظر إلى العمل الأدبي في مستوى آخر خارجي، فتربطه ببنية أوسع وأشمل. يعرف غولدمان التفسير بأنه " إدراج بنية دلالية في بنية أخرى أوسع منها تكون فيها الأولى جزءا من مقولاتها " فإذا كان الفهم يختص بدخل النص ، فإن التفسير يتجه إلى الخارج ليربط النص الأصغر (العمل الأدبي) بالنص الأكبر (المجتمع)، " فإذا كان الفهم عملا متصلا في النص فإن عملية التفسير هي وضع هذا الأخير في علاقة مع واقع خارج عنه "

وما يمكن أن نشير إليه هنا، هو أن العلاقة التي تربط الفهم بالتفسير هي علاقة تكامل وترابط، فالفهم أضيق من التفسير، والتفسير يتضمن الفهم بل ويتعداه

إن منهج "غولدمان" ركز على البنية انطلاقا من الوظائف التي تؤديها في العمل الأدبي. وأشار "غولدمان" إلى الكيفية التي يتوصل بها لاكتشاف البنية الدلالية، فعلى الباحث - في نظره - لكي يفهم العمل الذي هو بصدد دراسته أن يتقيد في المقام الأول بالبحث عن البنية التي تكاد تشمل كلية النص، وذلك استنادا إلى قاعدة أساسية نادرا ما يحترمها المختصون في الأدب ، وهي أن على الباحث أن يحيط بمجمل النص وأن لا يضيف إليه أي شيء وأن يفسر تكوينه، فاستخلاص البنية الدلالية في العمل الأدبي عامة والرواية خاصة ، لا يكون إلا عبر قراءة جزئيات النص في ضوء مجموع النص ذاته، مع التركيز على ما له دلالة وظيفية أساسية في العالم، وقد ترك "غولدمان" مجال البحث عن البنية الدلالية في العمل الروائي رهينا بقدرات الناقد الحدسية.

3- الوعي القائم والوعي الممكن:

يتميز "غولدمان" بين نمطين من الوعي : الوعي الواقعي والوعي الممكن ولكن قبل توضيح أنماط الوعي، حاول غولدمان تقديم مفهوم للوعي، وهو " مظهر معين لكل سلوك بشري ويتبع بطبيعته كل عمل "

* الوعي القائم **la conscience réelle** : (الوعي الفعلي ، الوعي الواقع) ، وهو الوعي الناتج بطبيعته عن الموروث حضاريا ثقافيا وتاريخيا ، حيث يعيد الحاضر صياغته وفهمه من منطلق رسوخ جمعي ، فالوعي الجمعي يرتبط بالجماعة واقعا وحاضرا أما على مستوى الإبداع الأدبي الروائي "فالوعي القائم هو وعي ناجم عن الماضي بمختلف أبعاده وظروفه وأحداثه ، عندما تسعى كل مجموعة اجتماعية لفهم واقعها انطلاقا من ظروفها الواقعية الاقتصادية والفكرية والمعتدية... الخ

* الوعي الممكن **la conscience possible** : يتجاوز الوعي الممكن سكونية الوعي القائم ليشكل في مستوى أعمق إدراكا أكثر تجريدا وشمولا للتجربة الإنسانية وتصورا أمثل مستقبلا، فيصبح ها الوعي مكانا لإبراز القوى الكامنة وصوتا لكل مقموع ومنسحق في عجلة الطبقة الاجتماعية ، فالوعي الممكن مرتبط بالحلول الجذرية لمشكلات .

4- رؤية العالم **le vision du monde** :

مقولة رؤية العالم لدى غولدمان لا توافق المعنى التقليدي الذي يشبهها بتصور واع للعالم، تصور إرادي مقصود، إنما هي الكيفية التي يحس بها وينظر من خلالها إلى واقع معين، أو هي النسق الفكري الذي يسبق عملية تحقق العمل الإبداعي ، تبلور مفهوم رؤية العالم نتيجة حصيلة استيعاب معمق للمقولات الفلسفية والنظريات السوسيولوجية منذ هيجل إلى ماركس إلى لوكاتش... وغيرهم .

رؤية العالم هي الهدف المنشود من وراء الخطوات المفاهيمية والإجرائية السابقة كلها، وتتسم بالشمولية لأنها لا تظهر من خلال عمل واحد بل من خلال مجموع أعمال كاتب " إن لم نقل كل أعمالهم التي ترشح في كليتها رؤية منسجمة ومتكاملة حول عالمهم، واستخلاص لمواقفهم اوجدية من وضعهم الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي ..".

خص "غولدمان" هذا المفهوم باهتمام خاص في مختلف ما كتبه، إلا أنه ركز عليه في مؤلفه " الإله الخفي." ويعرف "غولدمان" "رؤية العالم" بقوله : " إن الرؤية للعالم هي بالتحديد، هذه المجموعة من التطلعات والإحساسات والأفكار التي توحد أعضاء مجموعة اجتماعية، وفي الغالب أعضاء طبقة اجتماعية، وتجعلهم في تعارض مع المجموعات الأخرى ،إنها بلا شك خطأ تعميمية للمؤرخ، ولكنها تعميمية لتيار حقيقي لدى أعضاء مجموعة يحققون جميعا هذا الوعي بطريقة واعية ومنسجمة إلى حد ما "

وإن ما يمكن أن نشير إليه هو أن الفرد المبدع لا يمكن أن يخلق من تلقاء نفسه بنية فكرية منسجمة تستطيع أن تمثل رؤية للعالم، فهذا الأمر يكون من إبداع الجماعة. أما ما يقوم به الفرد المبدع هو الارتقاء بتلك البنية إلى درجة عالية من الانسجام حتى ترقى إلى مستوى الإبداع الخيالي. من هنا يمكن القول أن رؤية العالم تتجاوز ما هو واقع إلى ما هو مستقبلي، وما دامت الأعمال الروائية الكبرى تتميز بشمولية الرؤية، فإنها هي وحدها التي تمتلك رؤية العالم. هذه الرؤية التي تعتبر في الواقع تعبيراً كلياً وشمولياً عن قيم وطموحات ومشاعر الجماعة التي تؤمن بها.

تركيب

يستهدف لوسيان غولدمان من وراء بنيويته التكوينية رصد رؤى العالم من الأعمال الأدبية الجيدة عبر عمليتي الفهم والتفسير بعد تحديد البنى الدلالية في شكل مقولات ذهنية وفلسفية. ويعد المبدع في النص الأدبي فاعلاً جماعياً يعبر عن وعي طبقة اجتماعية ينتمي إليها، وهي تتصارع مع طبقة اجتماعية أخرى لها تصوراتها الخاصة للعالم. أي إن هذا الفاعل الجماعي يترجم آمال وتطلعات الطبقة الاجتماعية التي ترعرع في أحضانها، ويصوغ منظور هذه الطبقة أو رؤية العالم التي تعبر عنها بصيغة فنية وجمالية تتناظر مع الواقع.

مراجع

- لوسيان غولدمان : العلوم الإنسانية والفلسفة، تر: محمد العدلوني الإدريسي ويوسف عبد المنعم
- مجموعة من المؤلفين : كتاب البنيوية التكوينية والنقد الأدبي ، تر : محمد برادة
- جمال شحيد : في البنيوية التركيبية (دراسة في المنهج لوسيان غولدمان).
- محمد الأمين بحري: البنيوية التكوينية من الأصول الفلسفية إلى الفصول المنهجية